السوفياتية الجديدة، اضافة الى القدرة الكبيرة على المرونة ومحاولة نقل الوفاق الدولي الى الشرق الاوسط، لا تعني، اجمالاً، ان كل المشاكل على طريق الحل؛ ذلك ان النزاع العربي ـ الاسرائيلي يعتبر من النزاعات الاكثر تعقّداً في العالم؛ اذ تختلط فيه مسائل الوجود بمشاكل الحدود (**الشرق الاوسط**، لندن، ٢٣/٢/١٩٨٩). على الرغم من ذلك، فان لقاء شيفاردنادزه ـ ارنس هو رسالة سوفياتية جديدة الى اسرائيل، مفادها ان عليها ان تقرأ جيداً في التطورات الدولية، وان تسارع الى القبول بمؤتمر دولي تلعب الامم المتحدة فيه دوراً ناشطاً، ويفسح، في الوقت عينه، في المجال لمفاوضات مباشرة بين أطراف النزاع، وتسويات تقوم على أساس ضمان المصالح المتبادلة وحل مشاكل الأمس (**المصدر نفسه**).

خلاصة ما رمى اليه التحرك السوفياتي الذي يقوده شيفاردنادزه، انه أكد جملة ثوابت سوفياتية جديدة ومنقّحة، منها ما كشفته مصادر دبلوماسية عربية، من ان الحكومة السوفياتية كانت اطلعت دولاً وجهات عربية عديدة، مسبقاً، على الاهداف الحقيقية لجولة الوزير السوفياتي، وأكدت لها ان أحد أبرز اهداف الجولة هو مناقشة مجموعة اقتراحات وأفكار تتعلق بالنزاع العربي ـ الاسرائيلي والمشكلة الفلسطينية، لمعرفة مواقف الاطراف العربية المعنيّة بالنزاع ازاءها، وذلك قبل بدء جولة جديدة من المحادثات الرسمية بين المسؤولين السوفيات والادارة الاميركية الجديدة، بهدف تحريك عملية السلام في أقرب وقت ممكن (**القبس**، ١٧/٢/١٩٨٩).

وقبل ان تتحدد هذه المقترحات والافكار السوفياتية، أشار تعليق لوكالة «نوفوستي» حول جولة شيفاردنادزه الى «ان الجانب السوفياتي يقترح، لتحقيق السلام في المنطقة، العمل في اتجاهات ثلاثة: الاول، هو الاستخدام الفعّال لامكانات مجلس الامن الدولي كمؤسسة دولية فعّالة في اطار ما يسمى الدول الكبرى الخمس، بعد ان اتّفق، مبدئياً، خلال الدورة الاخيرة للجمعية العامة لهيئة الامم المتحدة، على اجراء مشاورات عملية بينهما». اما الاتجاه الثاني، فهو «عقد اجتماع لمجلس الامن الدولي على مستوى وزراء الخارجية، وقد قدم هذا الاقتراح، رسمياً، في جنيف، الى الامين العام للامم المتحدة». اما الاتجاه الثالث، ولعله الاتجاه الأهم ـ حسب الوكالة ـ فهو «اجراء حوار مباشر بين أطراف النزاع أنفسهم». كما لاحظت «نوفوستي»، ان ثمّة اجماعاً واسعاً لصالح عقد مؤتمر دولي للسلام، وهذا يعزز مواقف الاطراف التي ترى فيه الآلية المضمونه الوحيدة لصياغة حلول مقبولة من الجميع. وأضافت: «لكننا نعرف ان لا فائدة من عقد المؤتمر، ما لم تعلن اطراف النزاع كافة، من دون استثناء، عن تأييدها له؛ اذ ليس في استطاعة المجتمع الدولي ان يفرض هذا الحل، أو ذاك؛ ومن هنا، فان احد الاهداف الرئيسة لجولة شيفاردنادزه هو تخفيف ميول ونزعات المجابهة، وتعزيز الثقة، وتوفير مناخ ملائم عموماً، لكي تكون الاطراف مستعدة للبحث عن حلول مقبولة من الجميع، على أساس توازن المصالح» (**السفير**، ٢٢/٢/١٩٨٩).

يستشف من هذا التعليق ان ثمة ثوابت سوفياتية بدأت بالتبلور والنضج، منها استمرارية التقارب السوفياتي ـ الاسرائيلي، وحرص السوفيات على الموافقة الاسرائيلية على عقد «مؤتمر دولي»، بهدف التوصل الى «تسوية شاملة». في هذا الصدد، أكد شيفاردنادزه «ان التوصل الى تسوية بين العرب واسرائيل ليس سراباً، وهو أمر حيوي للاتحاد السوفياتي، لقرب منطقة الشرق الاوسط منه»؛ وشدّد، مرات عدة في كلمته، في القاهرة، على استعداد الاتحاد السوفياتي «للعمل مع اسرائيل، على الرغم من عدم وجود علاقات دبلوماسية معها». وقال: «ان التوازن الدقيق في مصالح الاطراف المعنية، وهي العرب والفلسطينيون واسرائيل على حد سواء، عامل رئيس في مفاوضات الشرق الاوسط». وكرّر ان الاتحاد السوفياتي مستعد «للعمل، بشكل بنّاء، مع كل الاطراف المستعدة للاسهام في التوصل الى حل». وأضاف: «نستطيع بناء، وتنمية، علاقات ودية مع الجميع في المنطقة، بلا استثناء» (**الحياة**، ٢٢/٢/١٩٨٩).

ومن الثوابت الاخرى الهامّة عند السوفيات، ذلك الهجس بموقف عربي موحّد حيال التسوية. وقد دافع شيفاردنادزه عن ضرورة توافق قادة مصر وسوريا ولبنان والاردن وم.ت.ف. على هذه